KUFA STUDIES CENTER JOURNAL
UNIVERSITY OF KUFA
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة
KSCJ OPEN ACCESS
ISSN (P) : 1993-7016
ISSN (E) : 2708-728X
www.journal.uokufa.edu.iq

مشاهد القيامة عند مفسري الشيعة الإمامية– الطوسي والطبرسي والطباطبائي اختيارا

Scenes of the Resurrection according to the commentators of the Twelver Shi'a - Al-Tusi, Al-Tabarsi, and Al-Tabataba'i

أ.د. عقيل جاسم دهش

مركز دراسات الكوفة/ جامعة الكوفة

Prof Dr. Aqeel Jassim Dahash

Kufa Studies Center / University of Kufa

DOI: https://doi.org/10.36322/jksc.180(A).23800

الملخص:

هناك مشاهد عديدة للقيامة ذكرها القرآن الكريم مفصلا فيها تارة ومجملا تارة أخرى، وقد حرص القرآن على وصف تلك المشاهد لما فيها من آثار نفسية وتربوية تحفز الإنسان على المراجعة وإعادة النظر والتصحيح.

وقد تم تقسيم البحث على سبع فقرات، تناولت كل فقرة مشهدا من مشاهد القيامة بالعرض والتحليل وبيان آراء علماء الشيعة الإمامية الطوسي والطبرسي والطباطبائي وما استدلوا به من النصوص والروايات التي ذكروها في مصنفاتهم.

وتوصل البحث الى نتائج عديدة، منها أن في القيامة حشرين وليس حشرا واحدا، حشر من القبر الى موقف القيامة والحشر الآخر الى النار، وأن مشهد تنكيس الرؤوس يعكس مدى الاضطراب الذي يصيب الكفار والمجرمين حين يقفون بين يدي الله للحساب ويرون تلك المشاهد العظيمة فيظهر عليهم الانكسار ويشعرون بالحرج الشديد على ما فرطوا في دار الدنيا فيطأطئون الرؤوس ذلا وحسرة وندما.

الكلمات المفتاحية: مشاهد القيامة، علماء التفسير الإمامية، الطوسي والطبرسي والطباطبائي.

This work is licensed under a https://creativecommons.org/licenses/by/4.0International License.

مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي 4.0الدولي.

KUFA STUDIES CENTER JOURNAL
UNIVERSITY OF KUFA
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة
KSCJ OPEN ACCESS
ISSN (P) : 1993-7016
ISSN (E) : 2708-728X
www.journal.uokufa.edu.iq

Abstract:

The Holy Quran mentions numerous scenes of the Day of Resurrection, sometimes in detail and sometimes in general terms. The Quran was keen to describe these scenes because of their psychological and educational impact, which motivates people to reflect, reconsider, and correct their actions.

This research is divided into seven sections, each addressing a scene of the Day of Resurrection through presentation, analysis, and an explanation of the views of Shia Imami scholars such as al-Tusi, al-Tabarsi, and al-Tabataba'i, along with the texts and narrations they cited in their works.

The research reached several conclusions, including that there are two gatherings on the Day of Resurrection, not one: a gathering from the grave to the place of judgment, and another gathering to Hell. The scene of heads being bowed reflects the turmoil that afflicts the disbelievers and criminals when they stand before God for judgment and witness these momentous scenes. They will appear broken and deeply ashamed of their transgressions in this world, bowing their heads in humiliation, regret, and remorse.

This work is licensed under a https://creativecommons.org/licenses/by/4.0International License.
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي 4.0الدولي.

KUFA STUDIES CENTER JOURNAL
UNIVERSITY OF KUFA
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة
KSCJ OPEN ACCESS
ISSN (P) : 1993-7016
ISSN (E) : 2708-728X
www.journal.uokufa.edu.iq

Keywords: Scenes of the Resurrection, Imami scholars of interpretation, Al-Tusi, Al-Tabarsi and Al-Tabatabai.

المقدمة:

يهدف البحث الى تسليط الضوء على النصوص القرآنية التي ورد فيها وصف لمشاهد القيامة، وبيان آراء علماء الشيعة الإمامية الطوسي والطبرسي والعلامة الطباطبائي، والأدلة التي استدلوا بها والروايات التي ذكروها في تفاسيرهم "التبيان ومجمع البيان والميزان" بالاعتماد على المنهج التحليلي والرجوع الى كتب اللغة والتفسير والحديث.

وقد تم تقسيم البحث على سبع فقرات، تناولت كل فقرة مشهدا من مشاهد القيامة بالعرض والتحليل وبيان اختلاف العلماء فيه، وهذه المشاهد هي (تنكيس الرؤوس، النظر من طرف خفي، الحشر الى النار، طمس الوجوه، الاستغاثة، التقييد بالأصفاد، التطويق بما بخل به الإنسان).

أولا: تنكيس الرؤوس، وهو قوله تعالى ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ السجدة: ١٢

يذهب الطوسي الى أن هذا السلوك الذي يصدر من المجرمين، وهو تنكيس رؤوسهم، له دافع نفسي هو الندم الشديد على ما فرطوا به في الدنيا من الإيمان والعمل الصالح، وهذا فيه أكبر العظة والعبرة للأمة من خلال النبي (ص) [1].

وقولهم (ربنا أبصرنا وسمعنا) فيه ثلاثة أقوال، الأول أبصرنا الرشد وسمعنا الحق، والثاني أبصرنا صدق وعد الله وسمعنا تصديق الرسل، والثالث أن الكلام على التشبيه، فقد شبه من يصد عن سماع الحق بالأصم

This work is licensed under a https://creativecommons.org/licenses/by/4.0International License.
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي 4.0الدولي.

KUFA STUDIES CENTER JOURNAL
UNIVERSITY OF KUFA
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة
KSCJ OPEN ACCESS
ISSN (P) : 1993-7016
ISSN (E) : 2708-728X
www.journal.uokufa.edu.iq

ومن لا يهتدي الى الإيمان ولا يبصر طريق الهدى والرشاد بالأعمى الذي لات يرى شيئا ولا يهتدي الى ضالته، أي لقد كنا بمنزلة العمي فأبصرنا وبمنزلة الصم فسمعنا[٢]

ويرى الطبرسي أن هذا السلوك هو بدافع الحياء والندم والذل، وأن استعمال الظرف (عند) جاء للدلالة على أن الله تعالى هو الذي يتولى حساب خلقه، وأن الضمير المستتر في (ترى) يعود على النبي أو عموم الناس، يقول (ولو ترى يا محمد أو أيها الإنسان إذ المجرمون ناكسوا رءوسهم أي يوم القيامة حين يكون المجرمون متطاطئي رءوسهم ومطرقيها حياء وندما وذلا عند ربهم أي عند ما يتولى الله سبحانه حساب خلقه)[٣].

ويذهب العلامة الطباطبائي الى أن (ال) في قوله (المجرمون) هي للعهد وليس للجنس، مستدلا بذيل الآية، وهو قوله تعالى (إنا موقنون) أن المقصود بالمجرمين هم منكرو المعاد، وتقدير الكلام (هؤلاء الذين يجحدون المعاد)، كنا يستدل بالظرف المكاني على أنهم لطالما أنكروا هذا الموقف وهم في دار الدنيا، أما اليوم فلا مجال للإنكار، ويرى أن طلبهم العودة الى دار الدنيا يشي بأنه اتضح لهم أن النجاة في أمرين، الإيمان والعمل الصالح، ولما حصل لهم الإيمان اليقيني سألوا الرجوع لكي يؤدوا الركن الثاني من أركان النجاة وهو العمل الصالح، وهو قوله (المراد بالمجرمين بقرينة ذيل الآية خصوص المنكرين للمعاد فاللام فيه لا تخلو من معنى العهد أي هؤلاء الذين يجحدون المعاد، وفي التعبير عن البعث بقوله: "عند ربهم" محاذاة لما تقدم من قوله: "بل هم بلقاء ربهم كافرون" أي واقفون موقفا من اللقاء لا يسعهم إنكاره، ومسألتهم الرجوع للعمل الصالح لما ينجلي لهم أن النجاة في الإيمان والعمل الصالح و قد حصل لهم الإيمان اليقيني و بقي العمل الصالح و لذا يعترفون باليقين ويسألون الرجوع إلى الدنيا ليعملوا صالحا فيتم لهم سببا النجاة)[٤].

This work is licensed under a https://creativecommons.org/licenses/by/4.0International License.
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي 4.0الدولي.

KUFA STUDIES CENTER JOURNAL
UNIVERSITY OF KUFA
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة
KSCJ OPEN ACCESS
ISSN (P) : 1993-7016
ISSN (E) : 2708-728X
www.journal.uokufa.edu.iq

ويرى الباحث أن استعمال الظرف المكاني في قوله (عند ربهم) أفاد معنى الإحاطة والشمول لأن الله تعالى محيط بهم وهم في قبضته فلا مفر ولا منجى لهم، ولذا فهم في أقصى درجات الذل والهوان.

وقد استعمل البنية الاسمية في قوله (إنا موقنون) التي تدل على الثبوت والاستقرار لتأكيد المعنى في النفس، واليقين عامل إيجابي يسهم في نجاة صاحبه لا في هلاكه لكنه تحول الى عامل سلبي أسهم في هلاكهم لأنه جاء في غير محله وأوانه، أي في وقت الحساب لا في وقت الابتلاء والعمل، وفي الآخرة لا في دار الدنيا، فقد حصل اليقين منهم بعدما رأوا الحقائق الساطعة ماثلة أمامهم من إعادة الإحياء والحشر ومشاهد القيامة والحساب، وهذا يظهر مدى الحسرة والندم والغم والضياع الذي هم فيه في ذلك الموقف العظيم بين يدي الله عز وجل، وهو من أقوى أساليب الردع في محاولة لمراجعة النفس وتصحيح المسار وإحداث التغيير السلوكي المطلوب.

لقد أراد النص أن يجمع لهم العقوبتين الإذلال والسخرية ويضربهم بسلاحهم الذي استعملوه ضد رسول الله (ص) في دار الدنيا، فقد استضعفوا قومه وسخروا منه ومن دعوته ووسموه بصفات قبيحة لا تليق بمقامه العظيم وشخصه الكريم وخلافا لخصاله التي عرفوها واخلاقه التي خبروها وأقروا له بالتفرد بها، ويأتي الإذلال معادلا موضوعيا لأسلوب الاستهزاء الذي اتخذه هؤلاء الكفار أسلوبا لمعارضة الدعوة، وذلك أنهم عجزوا عن مقابلة الدليل بالدليل والحجة بالحجة فلجأوا الى أسلوب رخيص يفرغ عن سرسرة مريضة ملأى بالحقد والبغض الشديدين لشخص رسول الله لما كان يتصف به من مكارم الأخلاق والسمعة الطيبة والمقام العظيم، وإن اتخاذهم السخرية سلاحا لمواجهة الرسالة المحمدية يدل دلالة قاطعة على عجزهم وخورهم وانهزاميتهم أمام صلابة النبي (ص) وأحقية دعوته وما حظي به من العناية والتسديد الإلهي، ولم يكن النبي ليتشفى بهؤلاء ولكن هو انتصار من قبل الله تعالى لمقام النبوة العظيم الذي حاول المجرمون الانتقاص منه

This work is licensed under a https://creativecommons.org/licenses/by/4.0International License.
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي 4.0الدولي.

KUFA STUDIES CENTER JOURNAL
UNIVERSITY OF KUFA
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة
KSCJ OPEN ACCESS
ISSN (P) : 1993-7016
ISSN (E) : 2708-728X
www.journal.uokufa.edu.iq

وطمس ذلك النور الإلهي ويأبى الله إلا أن يتم نوره ويظهر دبنه وينصر نبيه، ويتجلى الإذلال ليس فقط على صعيد الواقع والحدث بتنكيس الرؤوس بل على الصعيد الشكلي اللغوي المتمثل بمجيء لفظ (المجرمون) بأقوى حالاته مرفوعا على الابتداء وإضافة معمول اسم الفاعل (رؤوسهم) إليه، وكأن التنكيس صفة ملازمة لهم وليست طارئة ولا يكاد عارها يفارقهم وأنهم قد وسموا بها كالمقيد الذي خالطت الأغلال جلده ولحمه وصارت جزءا لا يتجزأ من جسده!، نعوذ بالله تعالى من حال أهل النار.

ثانيا: النظر من طرف خفي، وهو قوله تعالى ﴿وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ ﴾الشورى: ٤٥

يروي الطوسي عن الحسن وقتادة أن الظالمين يسارقون النظر للنار لأنهم لا يجرؤون أن ينظروا بجميع أبصارهم لما يرون من هول النار وألوان العذاب[٥].

ويرى الطبرسي أنهم حينما يعرضون على النار تعتريهم حالة شديدة من الذل والهوان عبَّر عنها بـ"حالة من السكون والتواضع"، وقوله (من طرف خفي) له معنيان، الأول أنهم يسارقون النظر الى النار، ويعزو سبب ذلك الى أمرين، الخوف من النار، والذلة التي تعتريهم تعكس بظلالها عليهم، والمعنى الثاني أنهم ينظرون نصف نظرة أو النظرة التي ببعض العين لا بكاملها، وهي نظرة الخجل أو الذليل الذي لا تطاوعه نفسه وهو بتلك الحال أن يفتح عينه بكاملها كما هو الحال في المواقف العادية التي لا يكون فيها الإنسان تحت الضغط النفسي أو الخوف الشديد، وهو قوله (يعرضون عليها أي على النار قبل دخولهم النار خاشعين من الذل أي ساكنين متواضعين في حال العرض ينظرون من طرف خفي أي خفي النظر لما عليهم من الهوان يسارقون النظر إلى النار خوفا منها وذلة في نفوسهم، وقيل من عين لا تفتح كلها وإنما نظروا ببعضها إلى النار)[٦].

This work is licensed under a https://creativecommons.org/licenses/by/4.0International License.
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي 4.0الدولي.

KUFA STUDIES CENTER JOURNAL
UNIVERSITY OF KUFA
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة
KSCJ OPEN ACCESS
ISSN (P) : 1993-7016
ISSN (E) : 2708-728X
www.journal.uokufa.edu.iq

ويذهب العلامة الطباطبائي الى أن عود الضمير الهاء في قوله (عليها) على النار بقرينة المقام لوضوح الدلالة، وأن قوله (طرف خفي) أراد به النظرة الضعيفة التي لا يريد صاحبها أن يصرف نظره عن شيء ينكره ولا يجرؤ في الوقت ذاته على النظر إليه بملء البصر، وذلك حال الظالمين يوم المعاد حين يعرضون على جهنم لا يصرفون بأبصارهم عن النار لئلا يغفلوا عنها كما أنه ليس لديهم الجرأة أن ينظروا إليها بملء أبصارهم لشدة هولها وعظيم وقعها في النفس، وهو قوله (ضمير "عليها" للنار لدلالة المقام عليها وخفي الطرف ضعيفه وإنما ينظر من طرف خفي إلى المكاره المهولة من ابتلي بها فهو لا يريد أن ينصرف فيغفل عنها ولا يجترىء أن يمتلئ بها بصره كالمبصور ينظر إلى السيف والباقي ظاهر)[٧].

ثالثا: الحشر الى النار، وهو قوله ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ فصلت: ١٩

ذهب الطوسي الى أن الحشر هنا بمعنى البعث يوم القيامة و(يحشرون) أي يبعثون ويجمعون الى النار، وقوله (يوزعون) أي يمنعون من التفرق من قول العرب: وزعت الرجل إذا منعته، ويرى أن في شهادة الجوارح ثلاثة أقوال، الأول أن تعامل معاملة الحي ويطلب منها الشهادة كما يشهد الإنسان في دار الدنيا، أن يفعل فيها الشهادة وتكون إضافة فعل الشهادة الى الجوارح من طريق المجاز العقلي، والثالث أنها ضرب من المجاز وذلك أن تظهر امارات على أصحاب النار تدل على أنهم مستحقون للعذاب، ويرجح أن يكون أتى بالجلود من جهة الحقيقة وليس كناية عن الفروج، يقول (وقيل في شهادة هذه الجوارح قولان احدهما أنها تبنى بنية حي وتلجأ إلى الشهادة والاعتراف بما فعله أصحابها، والآخر ان يفعل فيها الشهادة ويضاف اليها مجازا، ووجه ثالث إنه يظهر فيها امارات تدل على كون اصحابها مستحقين للنار فسمى ذلك شهادة مجازا، كما يقال: عيناك تشهد بسهرك أي فيها ما يدل على سهرك، وقيل المراد بالجلود الفروج على طريق الكناية، وقيل: لا بل الجلود المعروفة وهو الظاهر)[٨].

This work is licensed under a https://creativecommons.org/licenses/by/4.0International License.
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي 4.0الدولي.

KUFA STUDIES CENTER JOURNAL
UNIVERSITY OF KUFA
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة
KSCJ OPEN ACCESS
ISSN (P) : 1993-7016
ISSN (E) : 2708-728X
www.journal.uokufa.edu.iq

ويذهب الطبرسي الى أن معنى (يوزعون) يحبس أولهم على آخرهم لئلا يتفرقوا، وهو ينقل الآراء التي استعرضها الطوسي في شهادة الجوارح[٩]، ويتأولها هو بأنها إقرار بأن أصحابها سمعوا الدعوة الى الحق فأعرضوا عنها، كما أنهم رأوا من الآيات الدالة على وحدانية الله لكنهم لم يؤمنوا، وقد ارتكبوا الفواحش والمعاصي بسائر جلودهم ولم يرعووا، وهو قوله (أي شهد عليهم سمعهم بما قرعه من الدعاء إلى الحق فأعرضوا عنه ولم يقبلوه وأبصارهم بما رأوا من الآيات الدالة على وحدانية الله فلم يؤمنوا وسائر جلودهم بما باشروه من المعاصي والأفعال القبيحة) [١٠].

وينقل العلامة الطباطبائي المعنى اللغوي للحشر بأنه إخراج الجماعة عن مقرهم وإزعاجهم عنه إلى الحرب ونحوها، والمعنى اللغوي لـ (وزع) من الوزع وهو حبس أول القوم ليلحق بهم آخرهم فيجتمعوا، ويرى أن حرف الجر (الى) أفاد معنى الغاية بأن جعلت النار غاية لحشرهم لأن مصيرهم ومآلهم الى الخلود فيها مستدلا بشهادة الأعضاء في موقف القيامة التي تكون مقدمة لدخولهم الى النار، فيكون معنى الحشر إخراجهم الى المحشر للحساب، ويحتمل أن يكون أراد بالحشر حشرهم الى النار، وعلى هذا يكون هناك حشران وشهادتان، الأول حشر من القبر الى موقف القيامة وعندها تشهد عليهم جوارحهم الشهادة الأولى، والحشر الآخر الى النار ويؤتى بشهادة الجوارح مرة أخرى على شفير جهنم، يقول (قيل: المراد بحشرهم إلى النار إخراجهم إلى المحشر للسؤال والحساب، وجعل النار غاية لحشرهم لأن عاقبتهم إليها، والدليل عليه ما ذكره من أمر شهادة الأعضاء فإنها في الموقف قبل الأمر بهم إلى النار، وقيل: المراد حشرهم إلى النار نفسها ومن الممكن أن يستشهد عليهم مرتين مرة في الموقف ومرة على شفير جهنم) [١١].

رابعا: طمس الوجوه، وهو قوله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلۡنَا مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبۡلِ أَن نَّطۡمِسَ وُجُوهٗا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدۡبَارِهَآ ﴾ النساء: ٤٧

This work is licensed under a https://creativecommons.org/licenses/by/4.0International License.
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي 4.0الدولي.

KUFA STUDIES CENTER JOURNAL
UNIVERSITY OF KUFA
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة
KSCJ OPEN ACCESS
ISSN (P) : 1993-7016
ISSN (E) : 2708-728X
www.journal.uokufa.edu.iq

يبين الطوسي أن الخطاب في الآية لأهل الكتاب اليهود والنصارى، وهو أمرهم أن يؤمنوا بالنبي محمد (ص) وما أنزل عليه من القرآن تصديقا لما أخبرت عنه كتبهم، وأن هذا الخطاب جاء بأسلوب الوعيد والتهديد لهم، وأنه سوف يقع بهم في الآخرة[١٢].

وينقل الطوسي المعنى اللغوي للطمس، وهو الدثر ومحو الأثر، من قولهم طمست عينه اطمسها طمسا وطموسا وطمست الريح آثار الديار[١٣]، ويذهب الى أن معنى الطمس والرد على الأدبار يحتمل أربعة أقوال، الأول محو الآثار أو الملامح حتى تصير كالقفا وتمشي الى الوراء، والثاني الطمس المعنوي لا المادي، وهو الإمعان في الضلالة ذما لهم بأنهم لا يؤمنون أبدا كما يختم على الشيء أو يقطع أن هذا الأمر لا يكون أبدا، والثالث أن ينبت الشعر في وجوههم تشبيها لهم بالقردة زيادة في التحقير والإهانة، والرابع دفعهم عن مسكنهم ووطنهم الذي هو الحجاز الى بلاد الشام، وخو ما كان من إجلاء بني النضير الى أريحا وأذرعات، وقد وصف هذا الرأي بأنه أضعف الوجوه لما فيه من ترك الظاهر[١٤].

ويرد على إشكالية عدم تحقق الوعيد الإلهي بالطمس من ثلاث جهات، الأولى أن هذا الوعيد فيما لو لم يؤمنوا وقد آمنت جماعة منهم، والثانية أنه واقع بهم في الآخرة، والثالثة مجيء (أو) للتخيير، بمعنى أنه يفعل أحد الأمرين، الطمس أو اللعن، وقد لعنهم الله بذلك[١٥].

ويرى الطبرسي أن الخطاب جاء بأسلوب التخويف والتحذير، والمعنى صدقوا بما أنزلناه على محمد من آيات القرآن وأحكام الدين، وهذا الذي أتى به القرآن قد ورد في كتبكم، أي التوراة والإنجيل، لما تضمنته من صفة النبي وصحة ما جاء به من عند الله[١٦].

وينقل أقوال العلماء في معنى الطمس والردود التي ذكرها الطوسي على إشكالية عدم الطمس، ويروي عن المبرد أن هذا الوعيد واقع بهم في دار الدنيا لا محالة وذلك بأن يمسخ الله وجوه اليهود قبل قيام الساعة[١٧].

This work is licensed under a https://creativecommons.org/licenses/by/4.0International License.
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي 4.0الدولي.

KUFA STUDIES CENTER JOURNAL
UNIVERSITY OF KUFA
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة
KSCJ OPEN ACCESS
ISSN (P) : 1993-7016
ISSN (E) : 2708-728X
www.journal.uokufa.edu.iq

ويتأول العلامة الطباطبائي طمس الوجوه بالصرف أو المحو المعنوي لا المحو المادي الذي يستدعي زوال الوجوه أو محو آثارها، بل بانحراف المقاصد والتوجه بخلاف الفطرة السليمة، وهذا الانحراف لا يجني منه العبد إلا الشر والفساد، وسوف لا يفلح أبدا، يقول (فطمس الوجوه محو هذه الوجوه التي يتوجه بها البشر نحو مقاصدها الحيوية مما فيه سعادة الإنسان المترقبة والمرجوة لكن لا المحو الذي يوجب فناء الوجوه وزوالها وبطلان آثارها بل محوا يوجب ارتداد تلك الوجوه على أدبارها فهي تقصد مقاصدها على الفطرة التي فطر عليها لكن لما كانت منصوبة إلى الأقفية ومردودة على الأدبار لا تقصد إلا ما خلفته وراءها، ولا تمشي إليه إلا القهقرى، وهذا الإنسان – وهو بالطبع والفطرة متوجه نحو ما يراه خيرا وسعادة لنفسه – كلما توجه إلى ما يراه خيرا لنفسه وصلاحا لدينه أو لدنياه لم ينل إلا شرا وفسادا، وكلما بالغ في التقدم زاد في التأخر، وليس يفلح أبدا) [١٨].

خامسا: الاستغاثة، وهو قوله ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ﴾ الكهف: ٢٩

ينقل الطوسي أقوال العلماء في معنى قوله (سرادقها)، فسرادق الشيء محيطه مأخوذ من سرادق القسطاط، وهو ثوب يدار حوله، وقيل إنه حائط من نار يطيف بهم، وقيل أراد به دخان النار يغشيهم قبل وصولهم إليها[١٩]، جاء في لسان العرب (السُّرادق ما أحاط بالبناء والجمع سرادقات، والسُّرادق كل ما أحاطَ بشيءٍ نحو الشُّقة في المضرب أو الحائط المشتمل على الشيء، والسُّرادق الغبارَ الساطع، وهو أيضاً الدخان الشاخص المحيط بالشَيء) [٢٠].

كما ينقل أقوالهم في معنى المهل، فيروي عن ابن مسعود أنه كل شيء أذيب حتى ماع، وعن مجاهد أنه القيح والدم، وعن ابن عباس أنه دردري الزيت، وعن سعيد بن جبير الشيء الذي قد انتهى حره[٢١]، قال

This work is licensed under a https://creativecommons.org/licenses/by/4.0International License.
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي 4.0الدولي.

الليث (المهل ضرب من القطران إلا أنه ماء رقيق شبيه بالزيت لمهاوته يضرب إلى الصُّفرة، وهو دسم يهنأ به الإبل في الشتاء)[٢٢].

ويبين الطوسي أن معنى قوله (يستغيثوا) أي إذا طلبوا الماء لشدة ما هم فيه من العذاب أغيثوا بماء لا ينجيهم مما هم فيه ولا يروي ظمأهم ولا يخفف عنهم شيئا من العذاب بل يهلكهم ويزيد في تعذيبهم ومعاناتهم، وأن معنى (يشوي الوجوه) أي يحرقها إذا قربت منه لشدة حره[٢٣]، وهو مأخوذ من شواء اللحم، جاء في الصحاح في اللغة (شويت اللحم شيًّا، والاسم الشواء، والقطعة منه شواءة، واشتويت: اتّخذت شواء، وأشويت القوم: أطعمتهم شواء، والشوِيَّة: بقيَّة قومٍ هلكوا؛ والجمع شوايا. والشُوَاية بالضم: الشيء الصغيرَ من الكبير، كالقطعة من الشاة)[٢٤].

ويذهب الطبرسي الى أن الظالمين أراد بهم الكفار خاصة لأنهم ظلموا أنفسهم بعبادة غير الله عز وجل[٢٥]، وينقل عن العلماء ثلاثة أقوال في معنى السرادق، الأول حائط من نار يحيط بهم، والثاني الدخان المنبعث من النار يصل إليهم قبل وصولهم إليها، والثالث يحتمل أنه استعار السرادق للسعة والإحاطة لما كانت النار تحيط بهم من جميع الجوانب[٢٦]، وعبر عنها بالتشبيه مراعاة للأصل لكون الاستعارة في الأصل تشبيه حذف منه أحد طرفيه.

ويتابع الطوسي في نقل الآراء التي قيلت في معنى المهل بأنه كل شيء أو معدن أذيب كالرصاص والنحاس، أو أنه عكر الزيت إذا دنا منه شخص سقطت فروة رأسه لشدة حرارته، وقيل إنه القيح والدم أو ماء أسود أو الشيء الذي انتهى حره[٢٧].

This work is licensed under a https://creativecommons.org/licenses/by/4.0International License.
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي 4.0الدولي.

KUFA STUDIES CENTER JOURNAL
UNIVERSITY OF KUFA
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة
KSCJ OPEN ACCESS
ISSN (P) : 1993-7016
ISSN (E) : 2708-728X
www.journal.uokufa.edu.iq

ويرى أن معنى قوله (يشوي الوجوه) ينضجها ويحرقها عند دنوه منها، وقوله (يغاثوا) هو ليس من الإغاثة في شيء بل إهلاك وتعذيب، وإنما أتى به من طريق المشاكلة لتقدم قوله (يستغيثوا)، يقول (يشوي الوجوه أي ينضجها عند دنوه منها ويحرقها وإنما جعل سبحانه ذلك إغاثة لاقترانه بذكر الإغاثة) [٢٨].

ويرجح العلامة الطباطبائي أن يكون أراد بالمهل الزيت الحار، إذ ويروي عن أبي سعيد الخدري عن النبي (ص) قوله في معنى المهل (كعكر الزيت فإذا قرب إليه سقطت فروة وجهه فيه) [٢٩]، كما يروي عن الإمام الصادق (ع) أن المهل هو الذي يبقى في أصل الزيت[٣٠].

وهذه الانتقالة من الخبر الى الشرط (إنا أعتدنا/ وإن يستغيثوا) ضرورية لاستجمام الفكر وتصفية الذهن وإخراجه من حالة الانشغال والتوهان نتيجة هول الصدمة والخيبة في النجاة أو الخلاص مما هم فيه من العذاب، وأكبر الظن أن هذا الشرط يحيلنا الى خبر خفي وهو أنهم في تلك الحال وفي ذلك الموقف أحوج شيء الى طلب العفو والاستغاثة ومع ذلك فالأولى لهم أن لا يلجأوا الى ذلك ولا يفكروا في إغاثة ولا نجاة أبدا لأن ذلك سيرجع عليهم بمزيد من الألم وأصناف جديدة من العذاب، كماء القطران وشواء الوجوه، ولذا فإن استغاثتهم في موضع شك وريبة ومن هنا أتى بـ(إن) الشرطية ولم يستعمل (إذا) لما في الأولى من دلالة على الشك في حصول هذا الأمر وعدم القطع به.

وجاء بالماء في قوله (يغاثوا بماء) نكرة للدلالة على التفرد، فهو ليس كالماء الذي نعرفه لكون الماء ارتبط في الذهن بوصفه أيقونة الحياة وهو الذي يروي الإنسان من الظمأ ويسقي الزرع ويغمر الأرض بالنبات والأزهار زالخضرة ويملأ الأنهار وهو مصدر الخير والعطاء والطمأنينة واستمرار الحياة والدافع الأكبر على التجدد والحيوية والطاقة الإيجابية، أما أن يتحول الماء من كونه عنصرا محفزا للشعور الإيجابي الى عنصر مثبط ويخرج عن نمطيته المألوفة ويرتدي قوبا غير ثوبه ويتكلف بمهمة لا تشبهه ولم يعتد عليها ليكون

This work is licensed under a https://creativecommons.org/licenses/by/4.0International License.
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي 4.0الدولي.

KUFA STUDIES CENTER JOURNAL
UNIVERSITY OF KUFA
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة
KSCJ OPEN ACCESS
ISSN (P) : 1993-7016
ISSN (E) : 2708-728X
www.journal.uokufa.edu.iq

وسيلة من وسائل الردع وأداة للتعذيب ومصدرا باعثا على الخوف والقلق والاضطراب، فهذا كله من شأنه أن يحدث ،،الصدمة،، أو التأثير الانفعالي المطلوب لدى المتلقي.

وإن استعمال صيغة المضارعة في قوله (يشوي) يشير الى الدلالة على التجدد والاستمرارية في حصول فعل الشواء، وهذا يناسب تجدد الوجوه وإعادة خلقها بعد احتراقها وذوبانها، وهو قوله تعالى (وما هو بميت) [٣١] أي لا تخرج نفسه فيستريح[٣٢]، ولذا أتى بـ (الوجوه) مجردة عن الإضافة ولم يقل (وجوههم) لأن وجوههم تبلى والوجوه التي في الآية تتجدد مرة بعد مرة، وهذا أبلغ في التعبير عن استمرار العذاب وشدته وبشاعته. ويحتمل أنه عبر بالوجوه وأراد جميع البدن من طريق تسمية الشيء باسم أحد أجزائه[٣٣]، ولعله خصَّ الوجوه لأن موضع الشرب يقع فيها وهي الأقرب أن تلفحها حرارة ذلك الماء أو المنصهر الذي انتهى حره وعظم وقعه فيما ظهر من أعضاء الجسد فكيف بالأمعاء والبطون؟[٣٤]، أو يكون أراد أن أولى علامات الاستعلاء والتكبر تظهر في وجه المتكبر الذي تكبر في الدنيا عن طاعة الله تعالى فحقَّ لتلك الوجوه أن تشوى وأن تعمل في النار بحر السلاسل والأغلال وتخوض كما تخوض الإبل في الوحل[٣٥]، وفيه نكتة أخرى وهي أن الإنسان كثيرا ما يحرص على الاعتناء بالوجه وأن ظهر بأحلى حلة وأجمل منظر لأن الوجه بصمة الإنسان والخط الأول للتخاطر مع الآخرين، وقد بشر الله عباده المؤمنين بالسرور والفرح والبهجة وأن تظهر على وجوههم علامات الرضا والسعادة والترف، وقدمها على الجنان العالية والأنهار الجارية وكل مظاهر حسن العيش والنعمة، كالسرر والاكواب والنمارق ونحوها، وهو قوله تعالى (وجوه يومئذ ناعمة) [٣٦]، أي مترفة ذات بهجة ونضارة ظاهرة عليها آثار اللين والتنعم وحسن المقام أو المتكأ[٣٧]، ولذا خصَّ الوجوه بالشواء وإنما النار بطبيعتها تحرق الجسد كله لا تفرق بين عضو وآخر ولا مكان دون مكان فاعرف ذلك.

This work is licensed under a https://creativecommons.org/licenses/by/4.0International License.
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي 4.0الدولي.

KUFA STUDIES CENTER JOURNAL
UNIVERSITY OF KUFA
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة
KSCJ OPEN ACCESS
ISSN (P) : 1993-7016
ISSN (E) : 2708-728X
www.journal.uokufa.edu.iq

سادسا: التقييد بالأصفاد، وهو قوله تعالى ﴿ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴾ إبراهيم: ٤٩ ــ ٥٠

ينقل الطوسي المعاني اللغوية للأصفاد والسرابيل والقطران، فالصفد هو الغل الذي يقرن به اليد الى العنق، والسربال هو القميص، والقطران هو الزيت الذي تهنأ به الإبل، ومعنى (مقرنين في الأصفاد) أي قرنت أيديهم بالغل الى أعناقهم، ويروي عن الجبائي أن الصفد يجوز أن يكون أراد به السلسلة التي يقع بها التقرين[٣٨].

ويذهب الطوسي الى أنها سرابيل على الحقيقة مبينا أن العلة من جعل ملابسهم من القطران وهو مادة حارقة شديدة الحرارة لأن النار تسرع إليها نكالا بهم وإمعانا في تعذيبهم، وهو قوله (وإنما جعلت سرابيلهم من قطران، لأن النار تسرع اليها) [٣٩].

وينقل الطبرسي أقوال العلماء في معنى قوله (مقرنين)، فقيل إنه أراد مجمعين في الأغلال قرنت أيديهم الى أعناقهم، وقيل يقرن بعضهم الى بعض، وقيل يشد كل واحد في قرن وهو الحبل من الأصفاد والقيود، وقيل يقرن كل كافر مع شيطان كان يضله في غل، وهو يرجح هذا الرأي مستدلا بقوله تعالى (احشروا الذين ظلموا وأزواجهم) [٤٠] أي قرناءهم من الشياطين[٤١].

كما ينقل ثلاثة أقوال في معنى القطران، الأول أن تغطى أجسادهم بالقطران وهو مادة سوداء لزجة منتنة تطلى بها الإبل الجرباء، والثاني القطران هو النحاس أو الصفر المذاب، والثالث أن يسربلوا بسربالين أحدهما من القطران، والآخر من القطر الآني بحسب قراءة من قرأها على كلمتين منونتين (قطرٍ آنٍ)، ويروي عن الحسن البصري والزجاج أن علة طلائهم بالقطران هي أن النار تكون أسرع إليهم وأبلغ في الاشتعال وأشد في العذاب[٤٢].

This work is licensed under a https://creativecommons.org/licenses/by/4.0International License.
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي 4.0الدولي.

KUFA STUDIES CENTER JOURNAL
UNIVERSITY OF KUFA
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة
KSCJ OPEN ACCESS
ISSN (P) : 1993-7016
ISSN (E) : 2708-728X
www.journal.uokufa.edu.iq

ويلمح الطبرسي الى أن قوله (سرابيلهم من قطران) هو تعبير استعاري وإن لم يصرح بذلك مكتفيا بالإشارة الى علاقة الشبه بين السرابيل أو القمصان وطلاء القطران الذي يغطي أجساد الكفار وكأنهم لبسوه وصار ثوبا لهم، يقول (من قطران وهو ما يطلى به الإبل شيء أسود لزج منتن يطلون به فيصير كالقميص عليهم)[٤٣].

ويستدعي العلامة الطباطبائي المعنى اللغوي للتقرين وهو جمع الشيء الى نظيره، والصفد وهو الفعل الذي يجمع اليد الى العنق أو مطلق السلسلة، والسربال وهو القميص، والقطران وهو شيء أسود منتن تطلى به الإبل، والغشاوة الستر والتغطية من قول العرب: غشي الشيء يغشاه غشاوة أي ستره وغطاه[٤٤].

ويتابع الطبرسي فيما رواه عن العلماء في معنى قوله (سرابيلهم من قطران) وما ألمح إليه من أنه ليس هناك سرابيل على الحقيقة وإنما الأجساد حين تغمر أو تغطى بالقطران تصبح كأنها ارتدت ثيابا أو قمصانا وينقل عبارته نفسها مع بعض التقديم والتأخير، يقول (والقطران شيء أسود منتن يطلى به الإبل فإنهم يطلون به فيصير كالقميص عليهم)[٤٥].

إذن الصورة استعارية فلا سرابيل ولا أزر، وإنما القطران لما كان يغطي أجسادهم صار لباسا لهم من طريق الاستعارة، وهي استعارة تصريحية حذف منها المشبه، وهو (أجسادهم) وأبقى المشبه به، وهو (السرابيل) دالا عليه، والجامع بينهما التغطية والستر، لأن صفة اللباس أن يغطي الجسد ويستره، وكل ذلك بما يحدثه من التأثير النفسي البالغ محاولة للردع والكف عن ارتكاب المعاصي والعودة الى سبيل الرشاد والصلاح.

سابعا: التطويق بما بخل به الإنسان، وهو قوله ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾آل عمران: ١٨٠

يذهب الطوسي الى أن البخل المشار إليه في النص هو منع الزكاة الواجبة مستدلا بدليلين، الأول أن الكلام جرى مجرى الذم والتوعد، والثاني الاتكاء على المعنى اللغوي للبخل، وهو مشقة الإعطاء، وقد منعوا الحقوق

This work is licensed under a https://creativecommons.org/licenses/by/4.0International License.
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي 4.0الدولي.

KUFA STUDIES CENTER JOURNAL
UNIVERSITY OF KUFA
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة
KSCJ OPEN ACCESS
ISSN (P) : 1993-7016
ISSN (E) : 2708-728X
www.journal.uokufa.edu.iq

الواجبة لمشقة الإعطاء[٤٦].

ويفهم من كلامه، وإن لم يصرح، أن الذم يستفاد من قوله (بل هو شر لهم)، وأما الوعيد فيستفاد من قوله (سيطوقون ما بخلوا به).

ويذكر اختلاف العلماء في مقصود الخطاب، فثمة قولان في ذلك، الأول يرويه عن السدي أنهم مانعو الزكاة بخلوا أن ينفقوا في سبيل الله كما بخلوا بمنع الزكاة الواجبة، والآخر يرويه عن ابن عباس هم أهل الكتاب بخلوا فيما آتاهم الله من العلم ولم يبينوه للناس، وهو يرجح القول الأول، وحجته في ذلك شبه الإجماع والاطمئنان إليه، أما شبه الإجماع فقد اختاره أكثر المفسرين، وأما الاطمئنان فلكونه قد روي عن الإمام الباقر (ع)، وذلك قوله (والوجه الأول أظهر لأن أكثر المفسرين على أنها نزلت في مانعي الزكاة، وهو قول أبي جعفر "ع")[٤٧].

وينقل أقوال العلماء في معنى التطويق، فقيل إنه شجاع أقرع يطوقونه، وهو مروي عن الإمام الباقر (ع) عن النبي (ص)[٤٨]، وقيل إنه طوق من نار، وقيل يجازون كأنهم طوقوا[٤٩].

وقوله "يجازون كأنهم طوقوا" لعل المقصود به يحكم عليهم زمنا في النار، كما يحكم على المذنب بالسجن في دار الدنيا، فيكون ذلك سلبا لحريتهم كالقيد أو الطوق الذي يمنع الإنسان من التحرك بحرية أو يثقل عليه فيسلب راحته، ولعله أراد أنهم يوشمون بوشم يفتضحون به فيكون كالطوق في جيد صاحبه.

وينبه الى أن حذف المفعول الأول (بخل) لدلالة (يبخلون) عليه، وهذا أسلوب شائع في كلام العرب، كقولهم (من كذب كان شرا له)[٥٠] على تقدير (كان الكذب شرا له)[٥١].

ويؤكد أن ضمير الفصل (هو) فصل بين الاسم والخبر، وهو يعني المبتدأ والخبر معمولي فعل الرجحان (يحسبن)، وتقدير الكلام (ولا يحسبن البخل هو خيرا لهم) مستندا الى قول الزجاج (إنما تكون هو، وهما،

This work is licensed under a https://creativecommons.org/licenses/by/4.0International License.
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي 4.0الدولي.

KUFA STUDIES CENTER JOURNAL
UNIVERSITY OF KUFA
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة
KSCJ OPEN ACCESS
ISSN (P) : 1993-7016
ISSN (E) : 2708-728X
www.journal.uokufa.edu.iq

وهم، وأنا وأنت، ونحن فصولا مع الافعال التي تحتاج إلى اسم وخبر) [٥٢].

ويبين أن معنى قوله (ولله ميراث السماوات والأرض) أن المالك الحقيقي هو الله عز وجل وكل ملك لغير الله فهو باطل، وكل ما كانت عليه يد الإنسان فهو عائد الى الله، فسماه ميراثا من هذا الوجه، يقول (وقوله "ولله ميراث السماوات والأرض" معناه أنه يبطل ملك كل شيء إلا ملك الله، فيصير كالميراث لصحة الملك الثاني بعد زوال الاول وإن لم يكن في صفات الله على جهة الانتقال، لأنه لم يزل مالكا) [٥٣].

ويرى الطبرسي أن النص جار في معرض الحث على الإنفاق وترك البخل والإمساك، وهذا مما يسلم به كل ذي عقل راجح لأن عاقبة الممسك أن ينتفع غيره بماله ويكون عليه هو وزره، يقول (وقد تضمنت الآية الحث على الإنفاق والمنع عن الإمساك من قبل أن الأموال إذا كانت بمعرض الزوال إما بالموت أو بغيره من الآفات فأجدر بالعاقل أن لا يبخل بإنفاقه ولا يحرص على إمساكه فيكون عليه وزره ولغيره نفعه) [٥٤].

ويذهب الى أن البخل يتعلق بإخراج الحقوق الواجبة، ويتابع الطوسي في أن مقصود الخطاب أو سبب النزول هم مانعو الزكاة[٥٥].

ويذكر اختلاف العلماء في معنى (سيطوقون ما بخلوا به)، وقد ترشح عن ذلك أنه يجعل ما بخل به من المال طوقا في عنق البخيل، أو يعد له طوق من نار، أو يكلف أن يأتي بما بخل به من مال، أو يكون المعنى ما تأوله ابن عباس بشأن اليهود بخلوا ببيان صفة رسول الله (ص) التي وردت في التوراة، ويراه بعيدا لكون سياق النص لا يشهد له، وقيل يعود عليهم وبال بخلهم فيصير كأنه طوق في أعناقهم، وهو يرجح الرأي الأول لكونه أقرب الى سياق النص وأليق به[٥٦].

والرأي الذي ذكره، وهو أنه يعود عليهم وبال بخلهم، أقرب الى التأويل ويحتمل أنه ينصرف الى الأثر النفسي، أو نمط من العذاب خاص بهم لا ينفك عنهم فيكون كالطوق في أعناقهم لا يفارقهم أبدا.

This work is licensed under a https://creativecommons.org/licenses/by/4.0International License.
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي 4.0الدولي.

KUFA STUDIES CENTER JOURNAL
UNIVERSITY OF KUFA
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة
KSCJ OPEN ACCESS
ISSN (P) : 1993-7016
ISSN (E) : 2708-728X
www.journal.uokufa.edu.iq

ويرى الباحث أنه أراد بالتطويق عذاب الضمير أو الندم، والذي سيلازمهم كما يلازم الطوق أو القلادة الجيد ولن يستطيعوا التحرر منه سواء عذبوا بالنار أو حرموا مما أعده الله للمنفقين من الجزاء العظيم والنعم التي لا توصف.

ومعنى أن يرث الله السماوات والأرض أن يبطل ملك كل مالك بالموت والفناء ويبقى تعالى وحده لا ملك إلا ملكه[٥٧]، وهو ما ذهب إليه الطوسي كما تقدم.

ولم يتطرق العلامة الطباطبائي الى بيان معنى هذه الآية في تفسيره، ولكن في تعليقه على ذم البخل في مواضع أخرى من النص القرآني، وهو قوله تعالى (الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل) [٥٨] يرى أن علة بخلهم والدافع إليه حبهم للمال ورغبتهم في الاحتفاظ به لصلته الوثيقة بالاختيال والفخر، وهما صفتان لا زمتان للبخيل ذكرهما القرآن في موضعين في معرض ذم البخل والتحذير من عواقبه، وأن من العادات القبيحة للبخيل أن يدعو غيره الى البخل ويحرضه عليه، ويدفعه الى ذلك، بحسب رأيه، أمران، الأول حب البخل لنفسه يجعله يحبه لغيره، وكأنه يلمح الى أنه سلوك نفسي دفاعي وذلك أن كل من يتصف بصفة سيئة أو سلوك معوج يحب أن تشيع تلك الصفة أو ذلك السلوك بين عامة الناس لئلا يعير بها ويوبخ وتحاك عنه القصص وتضرب به الأمثال، والثاني شيوع السخاء والجود بين الناس يستدعي شيوع ذم البخل وافتضاح أهله وأن يذم البخيل ويحقر ويعاب عليه وتوجه إليه سهام الانتقاد والاستهجان، وذلك قوله ((والوجه في بخلهم الاحتفاظ بالمال الذي يعتمد عليه اختيالهم وفخرهم والوجه في أمرهم الناس بالبخل أنهم يحبونه لأنفسهم فيحبونه لغيرهم، ولأن شيوع السخاء والجود بين الناس وإقبالهم على الإنفاق في سبيل الله يوجب أن يعرفوا بالبخل المذموم) [٥٩].

This work is licensed under a https://creativecommons.org/licenses/by/4.0International License.
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي 4.0الدولي.

KUFA STUDIES CENTER JOURNAL
UNIVERSITY OF KUFA
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة
KSCJ OPEN ACCESS
ISSN (P) : 1993-7016
ISSN (E) : 2708-728X
www.journal.uokufa.edu.iq

وله توجيه آخر في معنى أمرهم الناس بالبخل هو اتباع سيرتهم الفاسدة وإن لم يأمروا بذلك حقيقة لأن ذوي الثروة يكون لهم نفوذ وتأثير كبير في العامة والناس يخضعون لهم ويتوددون إليهم لما في طباع الناس من آفة الطمع وحب المال، وهو قوله (أمرهم الناس بالبخل إنما هو بسيرتهم الفاسدة وعملهم به سواء أمروا به لفظا أو سكتوا فإن هذه الطائفة لكونهم أولي ثروة ومال يتقرب إليهم الناس ويخضعون لهم لما في طباع الناس من الطمع ففعلهم آمر وزاجر كقولهم) ٦٠..

ويفهم من كلامه أن البخل وإن كان صفة قبيحة ومذمومة، ولكن أخطر منه تداعياته وما يترتب عليه من آثار جسيمة تدمر بنية المجتمع الإسلامي، فعامة الناس يتأثرون بسرعة وسهولة بالعادات السيئة والسلوك المنحرف، فصاحب الشر يعدي كما يقال٦١.، والهدم أسهل وأسرع بكثير من البناء، ولذا ذم هذه الصفة أو العادة السيئة وتوعد أصحابها بالعذاب المهين، وهو قريب من قول رسول الله (ص): (من سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة) ٦٢.

والبخيل– كما تقدم_ معجب بنفسه كثير المباهاة دائما وأبدا، ويرى العلامة أن أصل المشكل أو منشأ هذه الشبهة يكمن في توهم الإنسان أنه هو المالك لما وكل به من المال وما رزق من النعم، وأنه تملك ذلك باستحقاق منه وامتيازات تفرد بها أهلته ومكنته من هذا التفضيل أو الاستحقاق، ولما كان كذلك حق له– بحسب ظنه وتوهمه– أن يتعالى ويتكبر وأن يمسك بأطراف العجب وبوسعه أن يصعر للناس خدا ويتخايل ويتباهى ما أمكنه ذلك، يقول (والاختيال والفخر ناشئان عن توهم الإنسان أنه يملك ما أوتيه من النعم باستحقاق من نفسه، وهو مخالف لما هو الحق من استناد ذلك إلى تقدير من الله لا لاستقلال من نفس الإنسان فهما من الرذائل والله لا يحبها) [٦٣].

This work is licensed under a https://creativecommons.org/licenses/by/4.0International License.
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي 4.0الدولي.

KUFA STUDIES CENTER JOURNAL
UNIVERSITY OF KUFA
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة
KSCJ OPEN ACCESS
ISSN (P) : 1993-7016
ISSN (E) : 2708-728X
www.journal.uokufa.edu.iq

والذي يراه الباحث أن البخيل يزدريه الناس ويمقتونه ويحتقرونه في أنفسهم، وإن جاملوه في الظاهر أحيانا، وهو يعلم ذلك جيدا، وفي محاولة لسد هذا النقص أو التعويض عن هذا الشعور يلجأ الى تعزيز الشعور بالعجب والرضا عن الكاذب عن النفس.

ويبين العلامة أن من آثار البخل على الإنسان تعلق قلبه بغير الله لاقترانه بالخيلاء والتباهي، وهما من لوازم التعلق بالمال والجاه والإفراط في حبهما، ويترتب على ذلك أن يمقته الله ويبغضه ولا يقيم له وزنا، يقول (والوصفان أعني الاختيال وكثرة الفخر من لوازم التعلق بالمال والجاه، والإفراط في حبهما، ولذلك لم يكن الله ليحب المختال الفخور لتعلق قلبه بغيره تعالى) ٦٤.

وقد وردت نصوص كثيرة تذم حب المال وتعده من الآفات الخطيرة التي تنافي الإيمان وتدفع الإنسان الى التعلق بحبال الدنيا وتورده المهالك، ومنها قولع تعالى (وتحبون المال حبا جما) وقول رسول الله (ص): (حب المال والشرف مذهب لدين الرجل) ٦٥ وقول أمير المؤمنين (ع): (حب المال يفسد المآل) ٦٦، وغيرها.

نتائج البحث:

١. يرى الطوسي أن مشهد تنكيس الرؤوس يعكس مدى الاضطراب الذي يصيب الكفار والمجرمين حين يقفون بين يدي الله عز وجل للحساب ويرون تلك المشاهد العظيمة فيظهر عليهم الانكسار ويشعرون بالحرج الشديد على ما فرطوا في دار الدنيا فيطأطئون الرؤوس ذلا وحسرة وندما، وفي ذلك من العظة والعبرة للأمة مما لا يخفى.

٢. يرى الطوسي ان شهادة الجوارح على أصحابها يوم القيامة ضرب من المجاز وذلك أن تظهر امارات على أصحاب النار تدل على أنهم مستحقون للعذاب، فسمى ذلك شهادة مجازا.

This work is licensed under a https://creativecommons.org/licenses/by/4.0International License.
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي 4.0الدولي.

KUFA STUDIES CENTER JOURNAL
UNIVERSITY OF KUFA
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة
KSCJ OPEN ACCESS
ISSN (P) : 1993-7016
ISSN (E) : 2708-728X
www.journal.uokufa.edu.iq

٣. يرى الطوسي أن إغاثة الكفار وهم في النار ليس من الإغاثة قي شيء وإنما جيء بالفعل (يغاثوا) لمشاكلة الفعل (يستغيثوا) وذلك لأنهم إذا ما طلبوا الماء وهم في أشد الاحتياج إليه لما هم فيه من الحر والظمأ أغيثوا بماء لا ينجيهم مما هم فيه ولا يروي ظمأهم ولا يخفف عنهم شيئا من العذاب بل يهلكهم ويزيد في تعذيبهم ومعاناتهم، وكأنهم يطلبون شيئا فيه هلاكهم وماء محرقا مذيبا للوجوه ليتهم لم يطلبوه.

٤. يفهم من كلام الطوسي في معنى التطويق يوم القيامة بأنه الحكم على من يبخل، وأريد به هنا مانع الزكاة الواجبة، زمنا قي النار، كما يحكم على المذنب بالسجن في دار الدنيا، فيكون ذلك سلبا لحريته كالقيد أو الطوق الذي يمنع الإنسان من التحرك بحرية أو يثقل عليه فيسلب راحته، ولعله أراد أنهم، أي مانعو الزكاة، يوشمون بوشم يفتضحون به فيكون كالطوق في جيد صاحبه.

٥. يرى الطبرسي أن المجرمين حين يعرضون على النار تعتريهم حالة من السكون فيسارقون النظر الى النار نتيجة الاضطراب والشعور بالخوف الشديد والذلة التي تعكس بظلالها عليهم.

٦. يرجح الطبرسي أن معنى التطويق أن يجعل ما بخل به من مال طوقا في عنق البخيل أو يعمل له طوق من نار ويراه أقرب الى سياق النص وأليق به، والذي نراه أنه أراد بالتطويق عذاب الضمير أو الندم، والذي سيلازمهم كما تلازم القلادة الجيد ولن يستطيعوا التحرر منه سواء عذبوا بالنار أو حرموا مما أعده الله للمنفقين من الجزاء العظيم والنعم التي لا توصف.

٧. يرى الطباطبائي أن طلب الكفار والمجرمين من الله تعالى العودة الى دار الدنيا يرجع الى أنه قد اتضح لهم أن النجاة في الإيمان والعمل الصالح، ولما حصل لهم الإيمان اليقيني سألوا الرجوع لكي يؤدوا الركن الثاني من أركان النجاة وهو العمل الصالح.

This work is licensed under a https://creativecommons.org/licenses/by/4.0International License.
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي 4.0الدولي.

KUFA STUDIES CENTER JOURNAL
UNIVERSITY OF KUFA
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة
KSCJ OPEN ACCESS
ISSN (P) : 1993-7016
ISSN (E) : 2708-728X
www.journal.uokufa.edu.iq

٨. يرى الطباطبائي أن في الآخرة يقع حشران وشهادتان، الأول حشر من القبر الى موقف القيامة وعندها تكون شهادة الجوارح والحشر الآخر الى النار ويؤتى بشهادة الجوارح مرة أخرى وهم على شفير جهنم.

٩. يتأول الطباطبائي طمس الوجوه بالصرف أو المحو المعنوي لا المحو المادي الذي يستدعي زوال الوجوه أو محو آثارها، بل بانحراف المقاصد والتوجه بخلاف الفطرة السليمة، ويترتب على ذلك الشر والفساد وسوف لا يفلح من تلبس به أبدا.

١٠. يرى الطباطبائي أن علة البخل والدافع إليه حب الناس للمال ورغبتهم في الاحتفاظ به لصلته الوثيقة بالاختيال والفخر، وأن من العادات القبيحة للبخيل أن يدعو غيره الى البخل ويحرضه عليه، ويدفعه الى ذلك أمران، الأول حب البخل لنفسه يجعله يحبه لغيره، والثاني شيوع السخاء والجود بين الناس يستدعي شيوع ذم البخل وافتضاح أهله وأن يذم البخيل ويحقر ويعاب عليه وتوجه إليه سهام الانتقاد والاستهجان.

الهوامش:

١ ظ: التبيان في تفسير القرآن: ٨/ ٢٨٨

٢ ظ: نفسه: ٨/ ٢٨٨

٣ مجمع البيان في تفسير القرآن: ٨/ ٩١

٤ تفسير الميزان: ١٦/ ١٢٨

٥ ظ: التبيان في تفسير القرآن: ٩/ ١٦٧

٦ مجمع البيان في تفسير القرآن: ٩/ ٥١

٧ تفسير الميزان: ١٨/ ٣٤

٨ التبيان في تفسير القرآن: ٩/ ١١٢

This work is licensed under a https://creativecommons.org/licenses/by/4.0International License.
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي 4.0الدولي.

KUFA STUDIES CENTER JOURNAL
UNIVERSITY OF KUFA
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة
KSCJ OPEN ACCESS
ISSN (P) : 1993-7016
ISSN (E) : 2708-728X
www.journal.uokufa.edu.iq

٩ ظ: مجمع البيان في تفسير القرآن: ٩/ ١١

١٠ مجمع البيان في تفسير القرآن: ٩/ ١١

١١ تفسير الميزان: ١٧/ ١٩٤

١٢ التبيان في تفسير القرآن: ٣/ ٢١٤

١٣ جاء في لسان العرب (مادة طمس): (الطُموس الدروس والانْمحاء وطَمس الطريق وطَسم يطْمس ويطْمس طُموساً درس وامَّحى أَثَره، وانطَمس الشيء وتَطَمَّس امَّحى ودرس، وطُموس البَصر ذهاب نوره وضوئه وكذلك طُموس الكواكب، ويقال طَمستُه فطَمس طُموساً إِذا ذهب بصره وطُموس القلب فساده، وفي صفة الدَّجَّال أَنه مطْموس العين أَي ممسوحها من غير فحش والطَّمس استئصال أَثر الشيء، ويكون الطموس بمنزلة المسخ للشيء).

١٤ ظ: التبيان في تفسير القرآن: ٣/ ٢١٤-٢١٥

١٥ ظ: التبيان في تفسير القرآن: ٣/ ٢١٥

١٦ ظ: مجمع البيان في تفسير القرآن:" ٣/ ٨٥

١٧ ظ: مجمع البيان في تفسير القرآن:" ٣/ ٨٥-٨٦

١٨ تفسير الميزان: ٤/ ١٣٢

١٩ ظ: التبيان في تفسير القرآن: ٧/ ٣٢

٢٠ لسان العرب، مادة (سردق)

٢١ ظ: التبيان في تفسير القرآن: ٧/ ٣٢

٢٢ تهذيب اللغة: ٢/ ٣٤٠

٢٣ ظ: التبيان في تفسير القرآن: ٧/ ٣٢

This work is licensed under a https://creativecommons.org/licenses/by/4.0International License.
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي 4.0الدولي.

KUFA STUDIES CENTER JOURNAL
UNIVERSITY OF KUFA
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة
KSCJ OPEN ACCESS
ISSN (P) : 1993-7016
ISSN (E) : 2708-728X
www.journal.uokufa.edu.iq

٢٤ الصحاح في اللغة: ١/ ٣٧٤

٢٥ ظ: مجمع البيان في تفسير القرآن: ٦/ ٣٠٢

٢٦ ظ: مجمع البيان في تفسير القرآن: ٦/ ٣٠٢

٢٧ ظ: مجمع البيان في تفسير القرآن: ٦/ ٣٠٢

٢٨ مجمع البيان في تفسير القرآن: ٦/ ٢٩٩

٢٩ تفسير الميزان: ١٣/ ١٦١

٣٠ تفسير الميزان: ١٣/ ١٦١

٣١ سورة إبراهيم/ ١٧

٣٢ ظ: الكشف والبيان: ٧/ ٣١٥

٣٣ ظ: الإيضاح في علوم البلاغة ٨٧، وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ١١/ ٢٤١

٣٤ ظ: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: ١/ ٤٧٥

٣٥ ظ: تفسير البحر المحيط: ١٠/ ٤٧١ وهو قوله تعالى (وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة). سورة الغاشية/ ٣

٣٦ سورة الغاشية/ ٨

٣٧ ظ: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ٢٢/ ٣٨٣

٣٨ ظ: التبيان في تفسير القرآن: ٦/ ٣٠٦

٣٩ التبيان في تفسير القرآن: ٦/ ٣٠٦

٤٠ سورة الصافات/ ٢٢

This work is licensed under a https://creativecommons.org/licenses/by/4.0International License.
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي 4.0الدولي.

KUFA STUDIES CENTER JOURNAL
UNIVERSITY OF KUFA
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة
KSCJ OPEN ACCESS
ISSN (P) : 1993-7016
ISSN (E) : 2708-728X
www.journal.uokufa.edu.iq

٤١ مجمع البيان في تفسير القرآن: ٦/ ٨٢. جاء في تفسير (الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ١/ ٧٧٦): (أزواجهم قرناءهم من الشياطين وأوثانهم)، وذهبت طائفة من المفسرين الى أنه أراد أشباههم ونظراءهم، قال ابن كثير (يجيء صاحب الربا مع أصحاب الربا، وصاحب (٤) الزنا مع أصحاب الزنا، وصاحب (٥) الخمر مع أصحاب الخمر). تفسير القرآن العظيم: ٧/ ٨ وظ: الدر المنثور في التأويل بالمأثور: ٨/ ٣٢٥ والنكت والعيون: ٣/ ٤٦٠

٤٢ مجمع البيان في تفسير القرآن: ٦/ ٨٢

٤٣ مجمع البيان في تفسير القرآن: ٦/ ٨٢

٤٤ تفسير الميزان: ١٢/ ٤٥. جاء في لسان العرب (مادة غشا): (الغِشاء الغطاء غَشَّيْت الشيء تَغْشية إذا غطَّيته، وقيل الغاشية النار لأَنَّها تَغْشى وجوه الكفّار وغِشاء كل شيء ما تَغَشّاه كغشاء القَلْب والسَّرْجِ والرَّحل والسَّيْف ونحوِها).

٤٥ تفسير الميزان: ١٢/ ٤٥

٤٦ التبيان في تفسير القرآن: ٣/ ٦٢

٤٧ التبيان في تفسير القرآن: ٣/ ٦٢

٤٨ روى ابن عبد البر القرطبي عن ابن عمر عن رسول الله (ص) قوله (إن الذي لا يؤدي زكاة ماله يمثل له يوم القيامة شجاع أقرع له زبيبتان فيلزمه أو يطوق به يقول أنا كنزك أنا كنزك). التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: ١٧/ ١٤٦. وقد رواه الطوسي نفسه في (الأمالي: ٢/ ٩٦) عن المجاشعي عن الإمام علي بن موسى الرضا (ع) عن آبائه عن رسول الله (ص) مع اختلاف في الرواية والعلامة المجلسي في بحار الأنوار (٩٣/ ١٥). والشجاع هو ذكر الأفعى والأقرع الذي لا شعر له على رأسه لكثرة سمه وطول عمره. ظ: لسان العرب، مادة (قرع).

٤٩ ظ: التبيان في تفسير القرآن: ٣/ ٦٢

٥٠ ظ: المقتضب: ١/ ٨٨ وسر صناعة الإعراب: ١/ ١٤٢

This work is licensed under a https://creativecommons.org/licenses/by/4.0International License.
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي 4.0الدولي.

KUFA STUDIES CENTER JOURNAL
UNIVERSITY OF KUFA
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة
KSCJ OPEN ACCESS
ISSN (P) : 1993-7016
ISSN (E) : 2708-728X
www.journal.uokufa.edu.iq

٥١ ظ: التبيان في تفسير القرآن: ٣/ ٦٢. قال سيبويه (ولم يذكر البخل اجتزاء بعلم المخاطَب بأنه البخل، لذكره يبخلون). الكتاب: ١/ ١٧٠ وظ: الأصول في النحو: ١/ ٧٩ والمحرر الوجيز: ٢/ ٥٠

٥٢ ظ: التبيان في تفسير القرآن: ٣/ ٦٢

٥٣ التبيان في تفسير القرآن: ٣/ ٦٢

٥٤ مجمع البيان في تفسير القرآن: ٢/ ٤٠٩

٥٥ مجمع البيان في تفسير القرآن: ٢/ ٤٠٩

٥٦ مجمع البيان في تفسير القرآن: ٢/ ٤٠٩

٥٧ مجمع البيان في تفسير القرآن: ٢/ ٤٠٩

٥٨ سورة النساء/ ٣٧

٥٩ تفسير الميزان: ١٩/ ٩١

٦٠ تفسير الميزان: ٤/ ١٢٥

٦١ رويت هذه الكلمة عن نبي الله عيسى بن مريم (ع). وهي قوله (صاحب الشر يعدي وقرين السوء يردي). بحار الأنوار: ٧١/ ٢٠٢

٦٢ فتح الباري: ٢٠/ ٣٧٩ والمنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: ٨: ٣٣ وبحار الأنوار: ٣٣/ ١٥٢

٦٣ تفسير الميزان: ١٩/ ٩١

٦٤ تفسير الميزان: ٤/ ١٢٥

٦٥ مكارم الأخلاق: ١/ ٤٧٤ وبحار الأنوار: ٧٤/ ٨٠

٦٦ ميزان الحكمة: ٤/ ٢٩٤

This work is licensed under a https://creativecommons.org/licenses/by/4.0International License.
مجلة مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي 4.0الدولي.